المحاضرة الثالثة/ الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي:

إن الحديث عن الفرق بين النقد الأدبي والنقد الثقافي في ثقافتنا العربية هو حديث مرتبط بالدرجة الاولى بتلك الحوارات التي قدمها كلا من عبد الله الغذامي وعبد النبي اسطيف ضمن كتاب يحمل عنوان **نقد ثقافي أم نقد أدبي؟** ولهذا سنحاول هنا مناقشة ما جاء في هذا الكتاب لنصل في الأخير إلى أهم الفروقات الأدبي عن النقد الثقافي.

ينقسم كتاب **نقد ثقافي أم نقد أدبي؟** إلى محورين مرفقين بتعقيب لكل ناقد على مختلف الآراء التي صاغها ضمن طرحه المعرفي، ويبدأ عبد الله الغذامي أولا وتحت عنوان **إعلان موت النقد الأدبي** يناقش مختلف القضايا المتعلقة بالمولود الجديد والمقصود هنا النقد الثقافي وفي هذا الصدد يقول «أنا أرى أن النقد الأدبي كما نعهده، وبمدارسه القديمة والحديثة قد بلغ حد النضج، أو سن اليأس حتى لم يعد بقادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالميا وعربيا»[1].

ويرجع الغذامي هنا سبب دعوته هذه إلى احتفاء النقد الأدبي بما هو **جمالي/بلاغي** على حساب ماهو ثقافي أو ما سماه **بالنسق الثقافي**، ويعود هذا الاحتفاء كما يقول إلى احتضان البلاغة للنقد الأدبي منذ نشأته الأولى فقد نشأ النقد الأدبي وخرج من الفلسفة لكنه ترعرع ونما وتطور في حضن البلاغة وخصوصا في ثقافتنا العربية التي كانت دائما تمرر مجموعة من الأنساق الثقافية التي تم عن طريقها ازدراء الفلسفة وربطها بالزندقة والأمر هنا متعلق بالمقولة الشهيرة **من تمنطق فقد تزندق**، ولهذا يقول الغذامي «لا شك أن الجميل مطلوب وأساسي ولا شك أن السؤال عنه جوهري وضروري، ولكن ماذا لون أن الجميل الذوقي تحول إلى عيب نسقي في تكوين الثقافة العامة، هذا

---

[1] – عبد الله الغذامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، دار الفكر، سوريا، ط1، 2004، ص12.

مالم يقف عليه النقد الأدبي ولم يجعله في سجل تفكيره، وهذا ما يمكن للنقد الثقافي أن يقوم به ليسهم في مشروعات نقد الخطاب»[2].

إن دعوة الغذامي لموت النقد الأدبي هنا هي دعوة شبيهة بما ردده رولان بارت حينما أعلن **موت المؤلف** والمقصود بالموت في هذا الصدد هو الموت بالمعنى المجازي، لأن الاهتمام بالقارئ على حساب المؤلف الذي احتفت به كثيرا المناهج السياقية هو المولود الجديد الذي يجب أن نراعيه، والأمر هنا أيضا متعلق بهذا الكلام فموت النقد الأدبي لا يعني بالضرورة إلغاءه تماما، بل يعني بالدرجة الأولى وجوب ميلاد جنين جديد تكون جيناته الوراثية مأخوذة من النقد الأدبي دون أن يكون فرعا منه كما لاحظنا سابقا مع ب ليتش وفي هذا يقول الغذامي «إن النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيا للنقد الأدبي، بل إنه سيعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي وهذه أول الحقائق المنهجية التي يجب القطع بها[3]، وبالفعل كان الغذامي في كتابه النقد الثقافي خصوصا في جزئه التطبيقي وفيا لهذا الكلام فقد انطلق في تحليله للنماذج التي اختارها من النقد الأدبي واشترط وجوب إعمال المصطلح النقدي إعمالا لا يتصف بالأدبية بل يتخذ له صفة أخرى تكون من ميزاتها أنها ثقافية، ولهذا حاول منذ البداية الاشتغال على مسألة **النقلة الاصطلاحية** مطورا النموذج التواصلي الذي وضعه جاكبسون وذلك بإضافة ما أطلق عليه الوظيفة النسقية التي غابت عن هذا النموذج لصالح الوظيفة الأدبية وفي هذا الصدد يقول الغذامي «إننا هنا نقترح إجراء تعديل أساسي في النموذج وذلك بإضافة عنصر سابع هو مانسميه بالعنصر النسقي(...)في هذا الإجراء ستكتسب اللغة وظيفة سابعة هي الوظيفة النسقية إضافة إلى وظائفها الست الأولى المرتبطة بالعناصر الستة، وهي النفعية والتعبيرية والمرجعية والمعجمية والتنبيهية والشاعرية(الجمالية)(...)وهذا يمثل

---

[2] – عبد الله الغذامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، ص19.

[3] – المرجع نفسه، ص 21.

مبدأ أساسيا من مبادئ النقد الثقافي، كما نود أن نطرحه هنا، فهو يمثل لنا أساسا للتحول النظري والإجرائي من النقد الأدبي إلى النقد ببعده الثقافي، وذلك لكي ننظر إلى النص بوصفه حادثة ثقافية»[4]، ولم يتوقف الغذامي عند هذه النقطة بل حاول توسيع مفاهيم ومصطلحات أخرى كانت في أساسها مرتبطة بالنقد الأدبي وذلك من أجل التأسيس لرؤيته الجديدة، فهو يرى أن النقد الأدبي احتفى كثيرا بفكرة المجاز وقد حان الوقت لتوسيع هذا المفهوم، ولهذا نجده يقترح فكرة **المجاز الكلي** بدل **المجاز البلاغي** الذي صار بحد ذاته مؤسسة ذوقية، وستكون وظيفة المجاز الكلي «كشف الازدواج الدلالي الذي يتلبس الخطاب الثقافي ببعده الكلي الجمعي، فهو لا يقف عند حدود اللفظة والجملة، بل يتسع ليشمل الأبعاد النسقية في الخطاب وفي أفعال الاستقبال»[5]، ويتبع هذا التغيير تحويل آخر سيطرأ على المستوى اللغوي وهو تحويل يمس مفهوم التورية البلاغية التي ستصبح **تورية الثقافية** وهو أمر ضروري من أجل اكتمال النموذج التحليلي، وفي الأخير سنصل كما يورد الغذامي إلى **الجملة الثقافية** وهذه الأخيرة هي «عبارة عن الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية، والجملة الثقافية ليس عددا كميا، إذ قد تجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية، أي أن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف»[6].

إذن ومن خلال ماسبق يمكن القول أن عبد الله الغذامي في دعوته الجديدة يسعى إلى تأسيس مشروع نقدي يتكأ على مفهوم الثقافة بدل مفهوم الأدب، حيث يريد أن يجعل من هذا المشروع رؤية جديدة في الثقافة العربية تؤسس لنفسها أسئلة جديدة حيث بدل أن نسأل سؤال النص سنسأل سؤال النسق، وبدل الحديث عن الدال سنتحدث عن

---

[4] – عبد الله الغذامي: النقد الثقافي–قراءة في الأنساق الثقافية العربية–، ص ص 64–65.

[5] – المرجع نفسه، ص 69.

[6] – عبد الله الغذامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، ص28.

المضمر، وسنهتم أكثر بمسألة الاستهلاك الجماهيري بدل مسألة النخبة أو المعتمد، فهل وفق الغذامي في مشروعه الجديد وكيف كان رد عبد النبي اسطيف إزاء هذا الأمر هل وافق الغذامي في طرحه أم كان مناقضا له؟

يأتي رد عبد النبي اسطيف ضمن هذا الحوار بطريقة مخالفة لما طرحه الغذامي فهو منذ البداية يضع عنوانا يؤكد به مدى تمسكه بالنقد الأدبي حيث جاء عنوان رده موسوما بـ: **بل نقد أدبي؟**، وينطلق هذا الأخير من فرضية مفادها أن النقد الثقافي هو مجرد موضة ركبها النقاد العرب، فقد فُتنوا بما حققه النقد الثقافي في الثقافة الغربية «بوصفه جزءا مما بات يشار إليه في الأوساط الجامعية الغربية والأمريكية بالدراسات الثقافية، فقد رأوا فيه الحل السحري لجميع مشكلات النقد الأدبي العربي الحديث، غافلين عن أن هذا النقد الثقافي على أهمية ما حققه من إنجازات لم يلغ دور النقد الأدبي في المجتمعات الغربية وغير الغربية التي ازدهر فيها»[7] ولهذا نجده ضمن هذا الحوار يعيد التذكير من جديد بمفهوم النقد وعلاقته الوطيدة بالأدب وكيف يؤدي الأدب وذلك عن طريق اللغة مختلف الوظائف بما فيها المعرفية والتاريخية والتأثيرية ولكن تبقى الوظيفة الأساس التي يتطلع إليها الأدب هي الوظيفة الجمالية التي عن طريقها يحقق القارئ مبتغاه، فالهدف من قراءة عمل أدبي ما هو المتعة بالدرجة الأولى، ولذا نجد الناقد كما يقول عبد النبي اسطيف يولي عناية كبيرة لما هو جمالي باعتبار أنها تشكل موضوعه الأساس، ويبدو أن إسهاب عبد النبي اسطيف في حديثه عن علاقة الأدب بالنقد ومدى حاجاتنا للنقد الأدبي جعله يرى أن النقد الأدبي قادر على استيعاب المتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية، وهي رؤية كما نرى تنقصها الحجة فطرح عبد النبي اسطيف كان غارقا في التنظير ولم ينتبه أنه ضمن سياق يحاول من خلاله تقديم مقارنة يثبت بها جدوى التمسك بالنقد الأدبي وعدم الإيمان بالنقد الثقافي، ولهذا جاء تنظير الغذامي

---

[7] – عبد الله الغذامي، عبد النبي اسطيف: نقد أدبي أم نقد ثقافي؟، ص ص68–69.

محكما ومقنعا لحد ما كونه شرح جميع الخطوات المنهجية والاجرائية والمعرفية التي من خلالها ادعى أن النقد الأدبي مات ولابد من بديل آخر يحل محلة، وعلى العموم تتلخص الفروقات بين النقد الأدبي والنقد الثقافي في الجدول الموضح أسفله:

النقد الأدبي	النقد الثقافي
✓ النقد ولد في حضن الفلسفة واحتضنته البلاغة ✓ يهتم النقد الأدبي بما هو جمالي ✓ النقد الأدبي علم موضوعه الأدب ✓ ينطلق النقد الأدبي في تحليله للنصوص من منهج محدد ✓ يجعل النقد الأدبي من النص الأدبي بنية لغوية مغلقة تحد من حريته	✓ ولد النقد الثقافي في حضن الدراسات الثقافية ومدرسة فرانكفورت والتاريخانية الجديدة ومختلف النظريات ضمن مجال العلوم الانسانية والاجتماعية. ✓ يدرس النقد الثقافي الأنساق الثقافية المضمرة التي تختفي وراء الجمالي ✓ النقد الثقافي نشاط معرفي موضوعه الثقافة ✓ لا ينطلق النقد الثقافي من منهج محدد ولكن نقاد الثقافةلا ينقدون دون الانطلاقة من وجهة نظر محددة ✓ يجعل النقد الثقافي من النص الأدبي رؤية جدلية تتفاعل مع القارئ دون ربطه بخلفية اختزالية تحد من حريته ✓ النقد الثقافي نقد فكري وعقائدي وأيديولوجي